ورقة بحثية

رفح: معبر الحياة والموت

WWW.CASRLB.COM
13 - 02 - 2024

رفح: معبر الحياة والموت

الحرب الإسرائيلية والمقاومة الفلسطينية في العبور الأخير

تتوجّه الأنظار اليوم إلى مدينة "رفح"، وهي رئة "غزّة" وشريانها الحيوي، حيث يؤمّن معبر "رفح" لشعبها وسائل العيش من غذاء ودواء ومستلزمات معيشية، بينما يراه الكيان الإسرائيلي مصدرًا لانتعاش حركة "حماس" ومنفذًا يمدّها بأسباب القوّة والنفوذ. وفي ظلّ الاعتداء الإسرائيلي على الغزّاويين وارتكاب الإبادة الجماعية بحقّهم، حضنت مدينة "رفح" حوالي مليون ونصف نازح فلسطيني، ولكن تمّ إغلاق ومراقبة المعبر ليتحوّل من معبر حياة إلى معبر موت. وهذا المعبر يشكّل المدخل الرئيسي بين "مصر" و"غزّة"، ويقع على حدود المنطقة (ج) العازلة من "سيناء" والمنطقة (د) التي يتقيّد فيها الوجود العسكري الإسرائيلي بأربع كتائب مراقبة فقط. فهل يقدِم جيش الاحتلال إلى اجتياح "رفح" والسيطرة على معبرها؟ وما تأثير ذلك على اتفاقية "كامب ديفيد"؟ وكيف ستكون مجريات هذه الحرب؟ وما هو الموقف المصري المتوقَّع؟

أ. معاهدة "كامب ديفيد": السلام المفخّخ

السابع عشر من أيلول عام 1978، تمّ توقيع اتفاقية "كامب ديفيد" بين "مصر" والكيان الإسرائيلي، بعد مفاوضات سرّيّة خاضها الرئيس المصري الأسبق "أنور السادات" ورئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك "مناحيم بيغن"، برعاية الرئيس الأميريكي التاسع والثلاثين "جيمي كارتر". وقد أفضت هذه الاتفاقية إلى توقيع معاهدة السلام بين "مصر" و"الكيان الإسرائيلي" في العام 1979، مما أدّى إلى تفكيك التحالف العربي وبناء تحالف أميريكي إسرائيلي مع "مصر"، وإضعاف الاتحاد السوفياتي في ذلك الوقت، وتأمين الكيان الإسرائيلي، وبالتالي تهميش القضيّة الفلسطينية، وازدياد بناء المستوطنات الإسرائيلية، وتقييد الحدود المصرية الفلسطينية، وخنق مدينة رفح. وقد فتحت هذه الاتفاقية عهد التطبيع العربي الإسرائيلي، وأخرجت "مصر" من ميدان الصراع، حيث تمّ تقييدها بمشاريع اقتصادية وسياحية مقابل تعهّدات مُلزمة وُصفت في تلك الفترة بمذبحة التنازلات. هذا ما

أعطى الكيان الإسرائيلي القوة والقدرة على تثبيت احتلاله لمرتفعات "الجولان"، وضرب منظمة التحرير الفلسطينية، وغزو "لبنان" عام 1982.

نصّت اتفاقية "كامب ديفيد" على تقسيم شبه جزيرة "سيناء" إلى ثلاثة أقسام:

- **المنطقة (أ):** يحقّ للجيش المصري أن يتواجد فيها بعدد 22 ألف جندي، مع كامل عتاده الحربي من طائرات ومجنزرات وآليات عسكرية.
- **المنطقة (ب):** تحتوي على لواء مصري مؤلّف من 4 كتائب.
- **المنطقة (ج):** وهي منطقة عازلة منزوعة السلاح، تمتدّ على طول 200 كلم مع حدود فلسطين المحتلة، ويتواجد فيها 750 جندي مصري فقط لحراسة الحدود. تتقاطع هذه المنطقة مع قطاع "غزّة" بطول يبلغ 14 كلم، حيث يشكّل هذا الشريط الحدودي محور "صلاح الدين" أو محور "فيلادلفيا" حسب التوصيف الإسرائيلي، الذي يربط حدود "غزّة" مع "سيناء" من خلال (معبر رفح).
- وهناك منطقة رابعة هي **المنطقة (د)**، تقع في الجانب الإسرائيلي داخل "فلسطين المحتلّة"، وتمتدّ من شرق "رفح" إلى "إيلات". وقد نصَّت الاتفاقية على أن يتواجد فيها 4 كتائب إسرائيلية، بعدد لا يتجاوز 4 ألاف جندي مع 180 آلية عسكرية. ولكن يسعى الكيان الإسرائيلي اليوم إلى اجتياح مدينة "رفح"، مما يعني إدخال ما يُقارب من 300 ألف جندي إلى المنطقة (د)، وهذا يشكّل كسرًا لبنود اتفاقية "كامب ديفيد" وانتهاكًا صارخًا للقواعد التي قامت عليها هذه الاتفاقية، مما يعطي للجيش المصري الحق بالتحرّك عسكريًّا في المنطقة (ج) بسبب إبطال مفاعيل المعاهدة نتيجة خرقها من الجانب الإسرائيلي.

منذ توقيع اتفاقية "كامب ديفيد" خرجت مصر من دورها الريادي في العالم العربي، وتكبّلت بأغلال عسكرية واقتصادية وسياسية، وانكشف ظهر القضيّة الفلسطينية، وغرقت مصر في أزمات اجتماعية داخلية، وتوتّرات حدودية مع جيرانها، فانصرفت عن مواجهة الكيان الإسرائيلي الذي ازداد توسّعًا في مستوطناته على الأراضي الفلسطينية، وأخذ فرصة ناجعة لابتزاز العرب وإجبارهم على توقيع اتفاقيات السلام

والتطبيع. لذلك جاء هذا السلام مفخّخًا، يفجّر باستمرار أزمات حادة لمصر وفلسطين والعالم العربي.

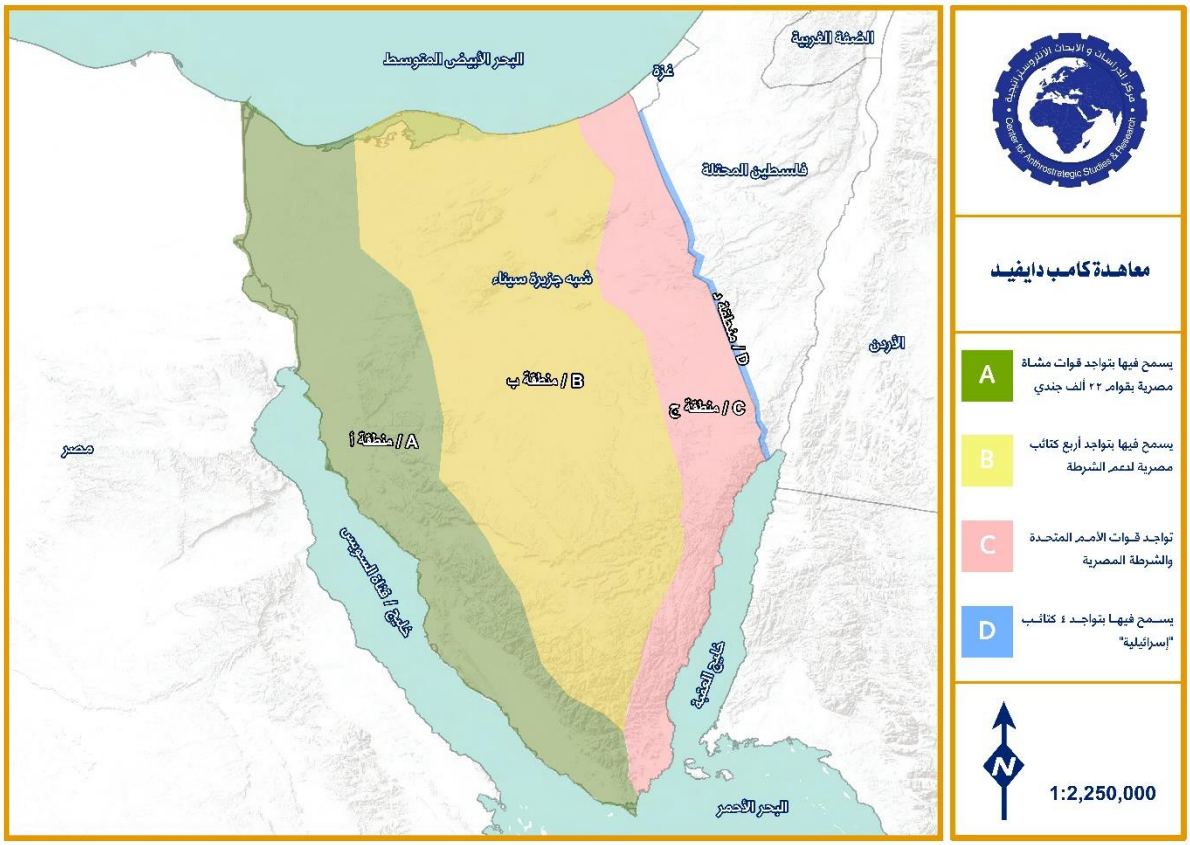

ب. دواعي الاجتياح الإسرائيلي لمدينة "رفح"

إنّ خطة اجتياح مدينة "رفح" واحتلال معبرها واردة منذ بداية العدوان الإسرائيلي على "غزّة"، حيث قسّم جيش الاحتلال حربه إلى ثلاث مراحل: الشمال والوسط و"خان يونس"، وتأتي المرحلة الرابعة لتطال مدينة "رفح"، وربمّا تكون المرحلة الأخيرة في خطّته الحربية ضدّ قطاع "غزة"، والتي يأمل منها تحقيق أهداف الحرب العدوانية على الشعب الفلسطيني للقضاء على مقاومته وإنهاء القضيّة الفلسطينية.

يعتقد الكيان الإسرائيلي أنّ السلاح الذي تراكم لدى حركة "حماس" عبر السنوات الماضية قد دخل من معبر "رفح"، لذلك يسعى إلى السيطرة على هذا المعبر ليضمن منع "حماس" مستقبلاً من إعادة بناء قوّتها وأصولها العسكرية، مما يعني القضاء على المقاومة في "غزّة" وبالتالي تصفية القضية الفلسطينية، ومحاصرة الفلسطينيّن، وخنق

الحياة في "فلسطين المحتلّة". كما إنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي "نتنياهو" يبحث عن نصر ليقدّمه إلى شعبه الذي فقدَ ثقته به ويتظاهر ضدّه ويحمّله مسؤولية السابع من أوكتوبر الذي حمل تاريخ "طوفان الأقصى" وأدى إلى قتل وأسر مئات الصهاينة، إضافةً إلى تردّي الوضع الأمني والظروف الاقتصادية. لذلك يعتبر "نتنياهو" أنّ عدم الدخول إلى "رفح" سيكون بمثابة إعلان الهزيمة، بينما السيطرة على معبر "رفح" ستؤمّن له فرصة الإعلان عن النصر، وبالتالي القضاء على "حماس"، مما يجعل المستوطنين يطمئنّون للعودة إلى المستوطنات في غلاف "غزة" التي نزحوا منها إلى الداخل الإسرائيلي بعد أحداث "طوفان الأقصى".

ويعتبر الكيان الإسرائيلي أنّ حربه هذه هي حرب وجود، فلا خيار له سوى تحقيق الأهداف التي وضعها، لأنّ إنهاء الحرب دون القضاء على "حماس" واخضاع "غزّة" بالكامل سوف ينعكس على الوجود الإسرائيلي بشكل دراماتيكي، مما يجعل المستوطنين يفقدون الثقة بقياداتهم وبالتالي لا يعودون إلى الأماكن التي نزحوا منها، فهي المرّة الأولى التي يتمّ فيها إخلاء مستوطنات إسرائيلي من المدنيّين، مما يعني خسارة أراضي وانحسار ديموغرافي للكيان الإسرائيلي. لذلك يظنّ الإسرائيلي أنّ احتلال مدينة "رفح" وتهجير أهل "غزّة" والقضاء على حركة المقاومة "حماس" هو الطريق الوحيد لتثبيت الوجود الإسرائيلي وتعزيز دعائم الكيان الذي تفجّر لديه الرعب الوجودي بعد أحداث طوفان الأقصى.

ج. سيناريوهات اجتياح مدينة "رفح"

حدّد مجلس الحرب الإسرائيلي مهلة أسبوعين لبدء التوغّل في مدينة "رفح"، على أن ينتهي الغزو قبل شهر رمضان، أي قبل تاريخ 10 آذار، وهذا أمر مستحيل من الناحية العمليّة الميدانية، ويدلّ على التخبّط والعشوائية واللاواقعية في السياسة الحربية الإسرائيلية. فالإدارة الأميركية شدّدت على "نتنياهو" إنهاء المسألة قبل شهر رمضان لتجنّب ردّات فعل المسلمين في العالم، ولتفادي التظاهرات الشعبية وازدياد المواقف الدولية المنتقدة للدعم الأميركي اللامحدود الذي يقدّمه الرئيس الأميركي "بايدن" وإدارته للكيان الصهيوني. ففي حال استمرّ الاعتداء الإسرائيلي خلال شهر رمضان، وحدثت المجازر في "رفح" على غرار المذابح الصهيونية في "غزّة"، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى إحراج الأنظمة

العربية أمام شعوبها وبالتالي ارتفاع وتيرة الانتقادات الدولية للولايات المتحدة الأميركية، وربمّا تدخّل فاعل لأطراف أخرى في محور المقاومة تجعل المنطقة على شفا حرب إقليمية مدمّرة، وهذه النتائج سوف تؤدّي إلى الشقاق والقطيعة بين "بايدن" و"نتنياهو".

جاء إعلان الحكومة الإسرائيلية عن تحرير أسيرَين في "رفح" لتظهير أهميّة اجتياح هذه المدينة عسكريًّا، حيث تمّ توظيف هذا الحدث لإعطاء نوعًا من الشرعية والتشجيع للقيام بالغزو المرتقب، ولكن إذا أقدم جيش الاحتلال الإسرائيلي على اجتياح مدينة "رفح" والتمادي في الإصرار على إنهاء "حماس"، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى مقتل الكثير من الأسرى، وربمّا جميعهم، إلّا أنّ "نتنياهو" لا يهتمّ حقيقةً لأمر الأسرى، ويعتبرهم عائقًا أمام تقدّم الجيش الإسرائيلي، وهو ضمنيًّا يرغب بقتلهم لأنّ تحريرهم سينقلب عليه ويساهم في تعقيد وضعه السياسي، خاصةً إذا خرجوا وتحدّثوا للإعلام عمّا جرى في 7 أوكتوبر، وتحديدًا تقصير وإخفاق الجيش الإسرائيلي وإقدامه على قتل مستوطنين وجنود إسرائيليين. لذلك لا تشكّل حياة الأسرى أيّ اعتبار لدى "نتنياهو" في قراره بغزو مدينة "رفح"، فهو مستعدّ أن يضحّي بآلاف الإسرائيليين لتحقيق أهدافه ومصالحه وضمان بقائه في السلطة.

على المستوى الميداني العسكري، توجد في مدينة "رفح" أربع كتائب لحركة "حماس"، بكامل قوّتها وعتادها، حيث ستصطدم القوات الإسرائيلية بالمقاومين الذين سيقاتلونها بطريقة استشهادية، لذلك قد تكون مجريات القتال في "رفح" أكثر تعقيدًا مما جرى في "غزة"، خاصة مع وجود أكثر من مليون ونصف فلسطيني معظمهم نازحون من شمال ووسط "غزّة" و"خان يونس"، مما يعني حدوث مجازر تفوق ما حصل من مجازر في "غزة". وسوف يقوم جيش الاحتلال الإسرائيلي بارتكاب المذابح في "رفح" لترهيب الفلسطينيّين وإجبارهم على اللجوء إلى "سيناء"، وبالتالي إحداث تغيير ديموغرافي يؤدّي السيطرة الإسرائيلية وتصفية القضيّة الفلسطينية. ولكن عند الوصول إلى هذه العتبة المصيرية الخطيرة قد يظهر حادث مفجّر للأوضاع في المنطقة تدخل على إثره دول وحركات المقاومة في حرب وجودية مع الكيان الإسرائيلي والولايات المتحدة الأميركية.

د. الموقف المصري المتوقّع

لم يصدر عن "مصر" موقفًا رادعًا إزاء الكيان الإسرائيلي لصرفه عن اجتياح مدينة "رفح"، حيث لم تهدّد "مصر" بالخروج من معاهدة "كامب ديفيد"، بل تحدّثت عن احتمال تعليق العمل ببعض بنود الاتفاقية، حيث سيتقدّم الجيش المصري إلى المنطقة العازلة (ج)، ولكن ليس لمواجهة القوات الإسرائيلية بل لتأمين حدوده ومنع تدفّق اللاجئين الفلسطينيين من "رفح" إلى "سيناء". فالحكومة المصرية تخشى من أن تتحوّل "سيناء" إلى وطن بديل للفلسطينيين، وتنتقل تشكيلات حماس إليها، مما يجعلها امتدادًا يُنعش حركة الإخوان المسلمين الذين يعتبرهم الرئيس المصري "عبد الفتاح السيسي" خطرًا على حكمه وعلى الدولة المصرية. لذلك تعتبر "مصر" أنّ دخول مليون ونصف فلسطيني إلى "سيناء" يشكّل تهديدًا لأمنها القومي، وانتقال أزمة المسألة الفلسطينية بكلّ مفاعيلها وإشكالاتها إلى "مصر".

إذًا، خروج "مصر" من اتفاقية "كامب ديفيد" أمر مستبعد، لأنّ هذه المعاهدة - في جوهرها - تمّ توقيعها مع "أميريكا" قبل الكيان الإسرائيلي، فإذا خرجت منها "مصر" ستجد نفسها في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأميريكية، وستخسر مليار ونصف دولار سنويًّا، وستعود إلى المواجهة مع الكيان الإسرائيلي، وسوف تنفجر أزمة دبلوماسية بين "القاهرة" و"تل أبيب"، وربمّا تشهد الحدود المصرية مع فلسطين المحتلة مناوشات بين الجيش المصري والجيش الإسرائيلي. لذلك لن تخرج "مصر" من معاهدة "كامب ديفيد" بسبب عدم قدرتها على تحمّل كلّ تلك المشاكل، خاصةً أنّها محاطة بالأزمات والاضطرابات من أزمة "سدّ النهضة" ومحاولات "إثيوبيا" لإيجاد موطئ قدم لها في "البحر الأحمر"، إضافةً إلى أحداث الصراع في "السودان" وتأثيراتها على أمن الحدود وعلى الاقتصاد المصري، أضف إلى ذلك الأوضاع المعيشية الصعبة للشعب المصري. كلّ ذلك سيجعل موقف "مصر" ضعيفًا أمام التعنّت الإسرائيلي، فإذا سمحت بدخول أهل "غزّة" إليها ستقع في أعباء اقتصادية وأمنية وسياسية خاصةً أنّها تضمّ 9 ملايين لاجئ من عدّة الجنسيات، وبالتالي سيؤدّي ذلك إلى تهجير الفلسطينيين وإنهاء قضيّتهم، وإذا حرست حدودها ومنعت تدفّق اللاجئين فإنّ ذلك سيؤدّي إلى حصار الغزّاويين وتعرّضهم لإبادة جماعية قتلاً وجوعًا ومرضًا.

> خروج "مصر" من اتفاقية "كامب ديفيد" أمر مستبعد، لأنّ هذه المعاهدة - في جوهرها - تمّ توقيعها مع "أميريكا" قبل الكيان الإسرائيلي، فإذا خرجت منها "مصر" ستجد نفسها في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأميريكية.

ه. الخاتمة

إنّ العدوان الإسرائيلي الراهن على "غزّة" يفتح مرحلة خطيرة جدًّا في تاريخ القضيّة الفلسطينية، تفوق خطورة إعلان قيام دولة الكيان الإسرائيلي عام 1948، بعد ارتكاب المجازر وتهجير الفلسطينيين وهدم منازلهم وحضارتهم وثقافتهم، وإقامة المستوطنات الصهيونية على الأراضي المغتصبة. ففي هذه المرحلة تأجّجت القضية الفلسطينية، وصارت قضيّة العرب والمسلمين، حتى المجتمع الدولي نادى بقيام دولة فلسطينية أفضت إلى توقيع اتفاقية "أوسلو" عام 1993، وظلّ الشعب الفلسطيني يقوم بالانتفاضات وأعمال المقاومة لتبقى القضيّة الفلسطينية حيّة. ولكن مسار الاعتداء الإسرائيلي اليوم والإبادة الجماعية يهدف إلى تصفية القضيّة الفلسطينية نهائيًّا، فعندما ينتهي الإسرائيلي من "غزة" سينتقل إلى الضفة الغربية والقدس ليقضي على أي قوّة أو قدرة مقاومة لمشروعه الهادف إلى السيطرة على كامل "فلسطين" وتحقيق حلم "إسرائيل الكبرى". فإذا نجح الكيان الإسرائيلي في السيطرة على مدينة "رفح" وتهجير أهل "غزّة" وخنق "حماس" سيؤدّي ذلك إلى تشظية القضية الفلسطينية وتصفيتها بما يفوق مرحلة النكبة، وفي الوقت الراهن يبقى انتصار المقاومة هو الحلّ لإعادة إحياء القضيّة الفلسطينية، ولكي يتحوّل معبر "رفح" من معبر موت إلى معبر حياة، ويحقّق العبور نحو قضيّة فلسطينية حيّة ودولة عاصمتها القدس الشريف.

مدير المركز

الدكتور عباس مزهر

مركز الدراسات والأبحاث الأنتروستراتيجية

Center for Anthrostrategic Studies and Research

العنوان:

- لبنان، صور، مبنى مركز الدراسات والأبحاث الأنتروستراتيجية.

للتواصل:

- info@casrlb.com
- 0096170122332